اجتهادات
هل تبقى روسيا أوروبية؟

بلغ العداءُ للغرب فى روسيا مستوى غير مسبوقٍ منذ قرون، خاصة مع فرض موجات متواليةٍ من العقوبات عليها. ويثيرُ هذا التطورُ سؤالا بشأن أثر هذا العداء فى انتماء روسيا الأوروبى الذى ظل غالبًا منذ عصر القياصرة، رغم أن الجزء الأكبر من مساحتها يقعُ فى آسيا، بينما يعيشُ معظم سكانها فى الجزء الغربى. وكثيرةٌ تجلياتُ ارتباط روسيا بأوروبا فى التاريخ، والفكر، والأدب، وأنماط الحياة. الاحتفاءُ بالإمبراطورة كاترين الثانية أو العظمى يبدو، فى نظر المؤرخ الأمريكى بيتر جران، تعبيرا عن هوى أوروبى، كونها كانت أميرةً ألمانية (بروسية) قبيل زواجها من الإمبراطور بطرس الثالث. وفضلاً عن عشقها اللغة والثقافة الفرنسية، فقد تابعت التنويريين الفرنسيين، ودعت بعضهم إلى موسكو مثل دلامبير، فيما لم يتمكن فولتير من تلبية دعوتها بسبب تقدمه فى العمر وظل يراسلهُا حتى مات. أما ديدرو فقد تلقى منها دعمًا ماليًا لمشروع الموسوعة الفلسفية الذى أشرف عليه. ونجدُ فى بعض الأعمال الأدبية الروسية أحد تجليات الارتباط بأوروبا، مثل رواية تولستوى (الحرب والسلم)، التى أجرى فيها على ألسن بعض النبلاء عباراتٍ بالفرنسية. ولهذا، وغيره، سادت السرديةُ التى تربطُ الكيان الروسى تاريخيًا بأوروبا، وهُمشت حتى وقتٍ قريبٍ نظيرتُها التى تنطلقُ من أن روسيا كيان آسيوى فى الأصل فى السردية السائدة، بدأ Europeanization. تعرض للتغريب أو الأوربة الكيانُ الروسىُ الحديثُ مع روس الفايكنج الذين عبروا بحر البلطيق، ثم روس كييف، وحرروا روسيا من المغول، ثم توسعوا شرقًا باتجاه آسيا. أما السردية المُهمشة فهى تتلخصُ فى أن الخانات المغولية كانت منذ القرن 13 المكون الرئيسى للكيان الروسى، الذى نما فى إطار إماراتٍ سلافيةٍ تحررت من سيطرة المغول، وتوسعت غربًا بعد ذلك0 ورغم أن المجتمع الروسى الآن ليس نسيجًا واحدًا، وأن بعض فئاته الاجتماعية لا تستطيعُ تغيير أنماط حياتها ذات الطابع

الغربى، خاصةً فى المدن الكبرى, يظلُ السؤالُ عن أثر العداء غير المسبوق للغرب أحد الأسئلة المسكوت عنها فى ظل انشغال أنصار كلُ من طرفى الحرب بترويج ما يدعم انحيازاته بغض النظر عن صدقه أو كذبه.